لقد كنتُ حوّاءً وقد كنتَ آدمًا لدن كان ابليس الغرام يجربُ
فاول كاسٍ من يدي قد جرعتها وفي الجرعة الاولى البلاء المحجبُ
وهذا عقابي منك بالعدل نلته فحسبك من حالي المريع مؤنب
فصافحها والدمع يغسل جرحها فيا لك حبًا بالدموع تطببُ
وعاهدها الا يذوق مدامة وقد تاب حتى لم يكن منه اتوبُ
ومرّضها حتى استتمت شفاءها وعاشا تمام العمر والعيش اطيبُ

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع لما قبله)

وكان سفر جاني على ما تقدم في الجزء السابق بعد مؤامرة بين ريشار وسكرتيره طمسن . فان طمسن اوهمها انه ذاهب بها الى منزلها في البرية والحقيقة انه كان ينوي السفر بها الى فرنسا لاخراجها من انكلترا . ومن هناك يعرّج على بلدة درلنتن حيث عقد زواجها بريشار فينزل ضيفًا على كاهن القرية ويحاول التوصل الى سجل الكنيسة لتمزيق عقد الزواج . وبينما كانت المركبة التي تقل طمسن وجاني سائرة في الاحراش خارج لندن كان شخص في ظلمة الليل يرصد الطريق ويقول

لقد ابعدوها ولم تجترم وهبت لها عاصفات العذاب
لينعم من بعدها زوجها بمجدٍ وجاهٍ بغير حساب
اجانيَ ان الحجى آفة ولو ان اهل الحجى في السحاب
واين العدالة والعادلو — ن فشيمة كل امرئٍ ان يحابي
لقد ضقتُ ذرعًا بهذا المصا — ب فماذا اعدّ لهذا المصاب
دهاني المشيب ولكنني ارى في قواي نشاط الشباب
وقد اغمض الليل اجفانه لكيلا يعزّ عليّ طلابي
وها تلك مركبة علها بجانيَ آخذة في اقتراب

وقد قربوا يا الهي فكن بفضلك عوني في كل ما بي

وكان قائل هذا القول مبراي نفسه وقد رصد هناك لانقاذ جاني . فلما وصلت المركبة هجم مبراي لانقاذها فقاومه طمسن فتبارزا فقتل مبراي طمسن ثم سار بجاني في المركبة الى منزلها القديم في البرية خارج لندن

وهنا وصلنا الى فصل الرواية الاخير . فان ريشار كان قد عزم في تلك الليلة على عقد قرانه بابنة المركيز سيلفا وقرر اجراء العقد في منزله في البرية الذي سارت اليه جاني بعد مقتل طمسن . فلما وصل مبراي بجاني الى هذا المنزل قالت جاني باكية . ما الحيلة يا رباه فانه لم يبقَ لديَّ ريب في انه يرغب في اخراجي من انكلترا ليتخلص مني . بل ربما كانت حياتي نفسها ثقيلة عليه . فقال مبراي تعزي يا جاني فقد بقيت لديَّ وسيلة لم استعملها بعد ولكنني متى استعملتها سحقتُ بها كبرياء ريشار سحقاً واعدته الى الطريق القويم . فقالت جاني مدهوشة وما هي هذه الوسيلة . فقال هي كلمة واحدة اقولها له ومتى قلتها اصبح ريشار تعيساً الى حد لا تذكر عنده تعاستك بجانب تعاسته . فقالت جاني آه فدع ذلك اذاً بحياتك لاني اكره تعذيبه وافضل ان اتعذب وحدي . فقال كلاَّ يا جاني فانك لم تطلعي بعد على جميع مقاصد ريشار . فانه كما قصر في ما يجب عليه لك قد اخذ يقصر في ما يجب عليه لوطنه . واني اخشى ان يكون لفعله تأثير سيئ على مستقبل انكلترا كلها . فقالت جاني فاصنع اذاً ما تراه حسناً

فسار مبراي يقصد لندن . وجلست جاني بعد مسيره بازاء النافذة في ظلمة ذلك الليل تندب حظها وتقول :

أأندب حظي او زماني الذي مضى فما حرج ان اليتيمة تندبُ
دهتني صروف الدهر ما غادرت اخاً ولا تركت اماً ولا دام لي ابُ
عجبتُ وهل في الناس مثلي شقية على ان حالي لو درى الناس اعجبُ
يريح الدجى هذه العناصر كلها واسهر وحدي في الدجى اتعذبُ
وما نفس الليل الذي مرّ بارداً عليّ كانفاسي التي تتلهبُ
وما هو الاّ الهمّ ان حلّ بامرئٍ فسيّان ما ياتي وما يتجنبُ

ثم قالت : ما اجمل هذه الطبيعة الهادئة تحت جنح هذا الظلام الدامس . كم قد وقفت في هذه النافذة اعد نجوم السماء واتامل في العمق الذي تحتها . آه عفواً يا اماه عما خطر احياناً في بالي وانا واقفة هنا . فانني كم قلت انني اذا القيت بنفسي من هذا العلوّ الشاهق

متُّ واسترحت من عذابي. ترى متى يعود مبراي .. ما هذا اني ارى مركبة على الطريق وكان القادم ريشار نفسه وقد تقدم العروس واهلها مصطحباً خادمه لاعداد المكان قبل وصولهم. فلما رآته جاني يدخل من باب الحديقة ارتعدت فرائصها لانه كان يظن انها سائرة على طريق فرنسا . فاندفعت نحو احدى الغرف واختبأت بها من وجهه

ولما دخل ريشار امر خادمه فانار المصابيح والشموع ثم فتش في القاعه فوجد فيها قبعة جاني . فقال لقد احسنت في انني تقدمتهم للتفتيش في المنزل . ثم اخذ القبعة وقال اذا القيتها من النافذة فانهم سيرونها غداً في الحديقة وهذه الخزائن مقفلة فاين اضعها. فخطر له ان يضعها في الغرفة الداخلية فتقدم الى الغرفة ففتحها لوضع القبعة فيها وكانت هي الغرفة التي جعلتها جاني مخبأ لها . فلما فتح بابها صاحت جاني مذعورة :

فذعر ريشار وخطا الى وراء ثم تقدم وصاح من هذا. فاجابته : انا.. انا . استحلفك بالله ان لا تؤذيني . فقال وقد بلغ الغضب منه مبلغه : انتِ هنا ؟ انت هنا ؟ ايُّ شيطان يردّك اليّ كلما ظننت انني تخلصت منكِ . من اعادك الى هنا . تكلمي تكلمي

جاني ــ مبراي مبراي

ريشار ــ مبراي ؟ دوماً مبراي . اين هو لاصبَّ غضبي على راس رجل لا على راس امرأة

جاني ــ قد سار الى لندن فعفواً عنه وعني

ريشار ــ وماذا جرى

جاني ــ لقد اوقف المركبة ..

ريشار ــ وبعد وبعد . قولي فقد كاد ينشقُّ صدري

جاني ــ وبعد ذلك تبارزا . وقتل مبراي طمسن

ريشار ــ ويلٌ له

جاني ــ عفواً عفواً

ريشار ــ جاني جاني اسمعي

جاني ــ ها . هذا صوت مركبة

ريشار ــ نعم وهي قادمة بزوجتي واسرتها

جاني ــ (بجنون) زوجتك وانا من انا اذاً

ريشار ــ بغضب شديد) انت.. انتِ ملاكي الشرير . انت الهاوية التي ستبتلع

جميع آمالي . انت الشيطان الذي يدفعني الى ارتكاب جناية

جاني ـ آه يا الهي

ريشار ـ وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لانني سالتك الرضى بالطلاق فأبيتِ . سالتك السفر من انكلترا فلم تسافري

جاني ـ الآن ارضى . ارضى بكل ما تريد

ريشار ـ الآن قد فات الوقت

جاني ـ فماذا تصنع اذاً ؟

ريشار ـ لا اعلم وانما صلي . .

جاني ـ (مذعورة) ريشار . ريشار ماذا تقول

ريشار ـ اسكتي . الا تسمعين صوت اقدامهم . آه . انهم سيدخلون ويجدون امرأة عندي . . فماذا اقول لهم

ثم هجم ريشار على جاني فصاحت جاني : المعونة المعونة . . اليّ اليّ . فامسك بها ريشار وقال : اسمعي . يجب حين دخولهم الى هنا ان لا يجدوكِ في هذا المكان

جاني ـ ارحمني . ارحمني

ريشار ـ رحمتك كثيراً فلم تنفع رحمتي

ثم اخذها كالوحش الكاسر فسدّ فاها بكفه وحملها وهي تضطرب وتختلج للتخلص منه ثم تقدم بها من الشرفة المطلة على الحديقة والقاها منها الى الارض من ذلك العلو الشاهق . وبعد ذلك عاد من جهة الشرفة وصفرة الموت تعلو وجهه والعرق يكسو جبينه

وان القلم ليقصر عن وصف هذا العمل الوحشي فنكتفي بما ذكرناه في احد الفصول السابقة وهو : اذا لم يكن الرجل العظيم عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري

ولم يكد ريشار يلقي الشهيدة جاني من الشرفة الى الحديقة حتى قُرع الباب . وكان القادمون المركيز سيلفا وامرأته وابنته العروس ووزير المالية وقد جاءوا لكتابة عقد الزواج فلما دخلوا عليه قال له المركيز عفواً اذا كنا قد ازعجناك ايها السر ريشار لاننا راينا الباب مقفلاً عليك . فاجاب ريشار متلعثماً اهلاً وسهلاً . . لا لم اقفل الباب . وانما لا اعلم كيف كان المفتاح في الداخل . فقدم اليه المركيز زوجته وابنته ثم قال له : اني اراك اصفر اللون فهل تشكو ألماً . فاجاب متلعثماً « انا اصفر الوجه ؟ . هذا امر عرضي » تفضلوا

واجلسوا . فقال المركيز لقد تفضل سعادة الوزير ورضي بان يكون شاهداً للعروس فهل لديك شاهدك . فقال ريشار لسنا في حاجة الى شهود . فلنوقع على صك الزواج . ثم تناول قلماً للتوقيع . فقال المركيز . ما ليدك ترتجف ياسر ريشار . فاجاب . يدي ترتجف؟ لا ولكنك انت ترى ذلك

ولما همّ ريشار بالتوقيع على صك الزواج واذا بصوت من الباب يصيح به : ينقصك شاهد للزواج يا ريشار . فهاءنذا

وكان صاحب الصوت مبراي نفسه وقد عاد من لندن . وفي اثناء مروره بالحديقة رأى فيها جاني المسكينة جثة باردة ففهم السبب وهرع بجنون ليرى قاتلها

. فالتفت اليه ريشار وقال بثبات جأش : سواء لدي انت ام رجل سواك . ثم دنا منه وقال همساً اياك ان تلفظ كلمة

مبراي ــ لا تتهدد . بل اترك التهديد لي

ريشار ــ « بغضب » وماذا تريد يا رجل ؟

مبراي ــ اخفض صوتك

ريشار ــ « بغضب » باي حق تطلب هذا الطلب

مبراي ــ انظر الى الشرفة . . .

ريشار ــ « مذعوراً » اخفض صوتك

مبراي ــ انت تعلم ماذا اقدر ان افعل بك بكلمة واحدة

ريشار ــ ولكنك لا تقولها

مبراي ــ لماذا

ريشار ــ لانه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها

مبراي ــ ريشار ــ لا اسكت عنها الاّ على شرط واحد

ريشار ــ وما هو

مبراي ــ ان تعدل عن الزواج بهذه الفتاة لامرٍ ذي شأن وتستعفي من مجلس العموم ثم تهجر لندن وتذهب معي الى مكان منفرد . انت لتندم . وانا لابكي

ريشار ــ انني ارفض طلبك

مبراي ــ رفضاً قطعياً ؟

ريشار ــ « ملتفتاً الى المركيز » وقع على الصك يا سيدي المركيز

وقد كان هذا الجدال بين ريشار ومبراي على انفراد فلم يسمعه احد غيرهما من الحاضرين فلما سمع مبراي كلام ريشار قال له : قف وعد الى رشدك والا ندمت حين لا يجدي الندم

ريشار ـ (للمركيز) وقع يا سيدي

فصاح هنا مبراي باعلى صوته : مركيز سيلفا مركيز سيلفا

المركيز ـ ما تريد ؟

مبراي ـ اتذكر قرية درلنتن

المركيز ـ ماذا تقول ؟ . . .

مبراي ـ اتذكر تلك الليلة التي وصلتَ فيها الى تلك القرية وانت تفتش عن فتاة مخطوفة

المركيز ـ الزم الصمت يا سيدي . . .

مبراي ـ لا تخف فانني لا اذكر اسمها لانني احترمها . اتذكر انها وضعت في تلك القرية غلاماً

المركيز ـ وبعد

مبراي ـ انك لم تشاهد ابا ذلك الغلام الا برهة ولكن ذلك كافٍ لان تعرفه . . انظر اليّ

المركيز ـ آه . انت هو . .

مبراي ـ نعم انا هو .

المركيز ـ فاذاً انت . . .

مبراي ـ الجلاّد . (ثم اشار الى ريشار) وهذا ابني

فقامت هاضجة في المكان . والتفت ريشار مصعوقاً نحو مبراي وقال بغضب : انت ابي ؟ وكيف تثبت ذلك بل اي فخر لي بان تكون ابي . وهل من دلائل الابوة ان تقف كل يوم في وجهي لمعاكسة اعمالي وتخييب آمالي . كلاّ انا لا اعرفك يا رجل ولا اريد ان اعرفك

مبراي ـ كان لي عليك ايها الشاب حق الاحترام لشعري الابيض فقط . اما الآن فصار لي عليك حق الابوة ايضاً . فاخفض من كبريائك يا ريشار درلنتن الطامع المتكبر واحترم حقي الطبيعي

ريشار ـ ولكن اذا كنت ابي فاين امي . اين تلك المرأة الملعونه التي هجرتني منذ ولادتي وكانت اللادي ويلور زوجة المركيز سيلفا ترتعد ارتعاداً في اثناء الكلام المتقدم .

فلما سمعت ريشار يقول هذا القول انطرحت جاثية امامه وصاحت : ريشار لا تلعني

فصاحت ابنتها المس ويلور ـ ريشار اخي

فقال مبراي ـ نعم هذه امك وهذه اختك من امك وكادت تكون زوجتك وهذه زوجتك الحقيقية . وهنا دخل ثلاثة من الخدم يحملون جاني مضرّجة بدمائها وهي مغمى عليها

ولما وضعت على المقعد افاقت وقالت بصوت ضعيف ـ آه انني اموت

ريشار ـ (وقد دنا منها) جاني جاني احيي فاني احبك (١)

جاني ـ (منتبهة وقائلة بصوت ضعيف) ريشار . هذا انت؟ تحبني ؟ . وزوجتك الجديدة ؟

ريشار ـ هذه اختي لا زوجتي

جاني ـ كيف ؟

ريشار — نعم اختي اختي وليس لي من زوجة غيرك

جاني — آه هنيئاً لك . فانك وجدت اهلك . اما انا فانني ذاهبة الى اهلي .. آه يا امي

ريشار — جاني هل تغفرين لي

جاني — آه . قل لي اولاً . احقيقي انك صرت تحبني

ريشار — بدون شك

جاني — « بصوت ضعيف متقطع » اذاً اموت مستريحة .. راضية .. غفر الله لك ياحبيبي

قالت هذا القول ثم اغمضت جفنيها ولفظت روحها

فقال احد الحاضرين — هكذا فليكن حب الزوجات وطاعة النساء

وقال قائل آخر — ان عيناً خفية تسهر على حرية الشعوب

وقال قائل ثالث — (مشيراً الى جثة جاني) ولكن قد تسقط في هذا السبيل ضحايا تتصدّع لها القلوب

« تمت الرواية »

---

(١) هنا كان الجمهور يضحك بالرغم منه لكلام ريشار الثقيل . وهذا الضحك وان كان في غير محله الاّ انه يدلّ على ان روح الجمهور وان كانت ساذجة قد فهمت ما في هذا الكلام من الدناءة واللؤم